العرب
الإثنين 2020/07/27
السنة 43 العدد 11774

النقد والإبداع.. جدلية تجنيس الملائكة

العلاقة بين النقاد والأدباء مشوبة بالتوتر

ربما يسود نوع من الاعتقاد لدى عدد من الروائيين أن النقد في العالم العربي معدوم، أو شبه معدوم، أو أنه ليس هنالك نقاد، أو أن النقاد يكتبون بناء على محسوبيات، وهم مستقطبون في شلل أدبية يروجون لأعمال أصدقائهم أو من تربطهم بهم مصالح، سواء دور نشر أو مؤسسات صحافية، وهذا بدوره يبقى مثيرا للجدل.

هيثم حسين
كاتب سوري

هل النقد إبداع أم أنه فعل إبداعي لاحق على الإبداع؟ إلى أي حد يمكن تصنيف النقد في عالم الإبداع من دون أن يكون مستتبعا بما سبقه من نصوص إبداعية بنى عليها؟ وهل يمكن لأي فعل إبداعي أن يخط طريقه من دون أن يكون مبنيا على تراكم سابق؟ هل يسير النقاد على خطى الأدباء والشعراء والروائيين أم أنهم يرسمون خطوطهم ومساراتهم الموازية والمحاذية والمتضايفة بنوع من الاستقلالية الإبداعية؟

كيف هو واقع النقد عربيا؟ هل هنالك أي تأثير للنقد المفترض والموجود أم أن النقاد يغنون في واد معزول عن عالم القراء؟ هل بالإمكان تقريب النقد من القراء بعيدا عما ينعت به من فوقية وتقعير لغوي واصطلاحي؟

هذه الأسئلة وغيرها الكثير تحضر في سياق مقاربة العلاقة بين النقد والنصوص الإبداعية التي يتناولها بالمقاربة والكشف والتحليل والتفكيك والتنظير في حقوله التي تثرى بالآخر وتثريه ميادينه كذلك.

مداحة نواحة

غياب النقد فيه جانب من الصحة انطلاقا من واقع الحال الذي لا يسر كثيرا، لكن لا يعني تعديم فن النقد والاستخفاف به وإظهاره على أنه تامر على الإبداع أو خيانة له.

لا يخفى أن كل أديب يعتبر نفسه مبدعا، ويمنح نفسه، من حيث يدري ولا يدري، صفات قد ترقى إلى أن تكون معظمة، ويمنح بعضهم نفسه حق الترفع عن النقد الذي يتوجه إليه، وقد يتهمه بكثير من الصفات التي تناسب روح الأدب، كوصفه بالحاقد المبني على الغيرة والحسد، لا لشيء إلا لأن الناقد أشار إلى نقاط أو هنات أو سقطات أو انزياحات أو كوارث في النص لم تر لصاحبه.

> غياب النقد الأكاديمي في الصحافة واقتصاره على الجامعات ساهما في ترويج نوع من التسطيح لمفهوم النقد الأدبي

ينوس الاتهام بين الحسد والحقد من قبل أدباء يعتقدون أنهم أكبر من النقد، أو أن النقد لا يرتقي إلى مستوى إبداعهم، وأنه قزم يحاول تقزيم إبداعهم ونصوصهم ليتناسب مع قزميته، ويحجم الحدود والأطر اللانهائية لعوالمهم وابتكاراتهم، وهذا من الأوهام التي تعشش في نفوس وأذهان الكثيرين يتنكرون للآخر وما يقدم عليه من عمل واجتهاد وقراءة وتحليل، ويكتفون بتقييده في خانات الحساد والحاقدين لا غير.

وكأنه في حالات كهذه يراد من النقد أن يكون مداحا نواحا على طريقة شعراء البلاط والمرتزقة ممن يجيدون التلاعب بالكلام وصف الحروف من أجل الاحتفاء بالممدوح وتعظيمه وتقديس منتجه الإبداعي وإظهاره أنه منفرد متفرد لا منافس محتملا له، لو لا ند مفترضا يمكن أن ينازله في منازله المفخمة.

لربما يكون هناك نوع من التقارب المعنوي، ناهيك عن اللفظي، بين الحروف والحروب، مجازيا، في حالة النقد والإبداع، فالحروف التي تبحث عن تقديس الآخر تنأى بنفسها عن خوض غمار حروب أدبية أو معارك تكشف عري من يحاول أن يتزيا بأردية لا تقنع.

الناقد ليس على المقاس (لوحة للفنان محمد خياطة)

ويبدو أن غياب النقد الأكاديمي في الصحافة، واقتصاره على أروقة الجامعات بنسبة ما، ساهم في ترويج نوع من التسطيح والتمييع لمفهوم النقد الأدبي؛ الروائي أو الشعري أو المسرحي، ذلك أن كثيرا من الأدباء بات يطلق صفة النقد على كل ما يكتب عن عمله، سواء أكان عرضا له أم تلخيصا صحافيا بطريقة خبرية أم استعراضية ترويجية، وهذا من مذموم الخلط وتتويه البوصلة النقدية والأدبية.

كثير مما يكتب في الصحافة اليومية يعد عرضا صحافيا يتماشى مع مقتضيات القراءات الصحافية التي تروم السرعة، والتعريف بالنصوص وأصحابها وبعض ما تشتمل عليها، سواء من حكايات أو أساليب بشكل سريع، بعيدا عن التعمق، وهذا أيضا لا يعيبها إذا أخذت في إطارها التوظيفي، ذاك الإطار الذي يبقيها في سياق التعريف والترويج والعرض والتقديم لا الإطار النقدي المأمول.

وينعكس ما يروج في الصحافة اليومية على فهم النقد وماهيته، فيوصف ما ينشر بأنه نقد، ما يدفع الكثيرين من الباحثين عن نشر مواد صحافية، سواء من باب العمل أو من منطلق تصدير أسمائهم في منابر صحافية.

قد لا يلام المبتدئ في تجرئه في حالة الصحافة، لأنه يرى ويقرأ ما ينشر في سياق النقد الأدبي وكأنه عبارة عن تسطيح للنصوص وتلخيص بائس مجتزئ لها، فيجد في نفسه القدرة على المبادرة، والإمساك بزمام الكلمات النقدية والمفاهيم وتقييد النصوص بها، على طريقة تكييفها وفق أدواته المعرفية، لا الارتقاء إلى مستويات جديدة من الخلق والابتكار.

تشويش وإساءة فهم

العلاقة بين النقاد والأدباء مشوبة بشيء من التوتر والتحفظ وإساءة الفهم أحيانا، فهناك أدباء ينتظرون من النقاد أن يكونوا مطبلين دائمين لهم، يقرعون طبول التعظيم لكل ما يكتبونه وما يتفوهون به، بحيث يقصرون دورهم على التطبيل والتزمير، والإبقاء عليهم في زنازين ما يراد منهم من كيل متجدد للمدائح، وتغاض عن أي ملاحظات في الاتجاه الآخر.

اقتصار النقد على نسج إنشائيات تحتفي بالأديب تشويه لعالم النقد والأدب معا، وإخراج له من سياقه العلمي والمعرفي والتاريخي، وجعله نزيل رغبات أشخاص يجدون في أي قول أو نقد يشير إلى ما لا يروق لهم فعلا حاقدا ينبغي محاربته والتعاطي معه بتسخيف وتتفيه، والتشهير بأصحابه بطريقة شعبوية تنال من مصداقيتهم، واتهام النقد بالمتحاملين والمرتزقة والحاقدين.

يكاد أغلب الروائيين العرب يتفقون على غياب النقد الروائي، أو تهميشه لأعمالهم أو قصوره عن متابعتهم، أو بقائه أسير شلل ومجاملات ومحسوبيات، وأن أعمالهم لم تنل ما تستحق من نقد مفترض، وهذا في جزء منه مبني على ما يروج في الصحافة، وفي جزء آخر على ما يفرض على الطلبة والدارسين في الجامعات، بحيث يكون تصدير البعض على حساب التعتيم على آخرين تستحق نصوصهم تقديرا، فيكون ترويج للعملة المناسبة للشلل، وغالبا ما توصف من قبل أصحاب الشكوى بأنها العملة الرديئة، على حاسب ما يعتبرونها العملة الجيدة، والتي تشير إلى نتاجاتهم الإبداعية؟

لا يخفى أن النقد في العالم العربي لا يمر بأفضل أوقاته، ولكن لن يجدي أي تحامل من قبل الشعراء والروائيين على النقاد، واعتبار إبداعهم النقدي قاصرا أو تابعا للإبداع الشعري أو الروائي، لأن هذا يزيد من سوء العلاقة، ويضفي مزيدا من التشويش عليها، ويبقيها أسيرة مجاملات وشلل تروج لبعضها بمنطق تبادل التنفيعات والامتيازات، ويفرض عليها عزلة، ويفقد الثقة بالنص الإبداعي والنقدي معا لدى القراء والمتابعين.

كما أن حلول العرض الصحافي السريع، أو القراءات الانطباعية الصحافية، محل النقد الروائي في العالم العربي، محاولة لزيادة التشويش وخلط المفاهيم والتفاصيل، وتضييع المعاني، وإظهار النقد الذي يوصف في إطار الدراسة الأكاديمية على أنه فعل غريب عن النقد الواقعي، أو أنه يغرد في عالم محدود بقاعات الدرس وأروقة الجامعات لا غير، ولا يتماشى مع منطق الصحافة والقراءات اليومية التي تروم التعريف السريع من دون إثقال على كواهل القراء أو إظهار تعال نقدي عليهم.

وهناك أيضا نقطة، يصفها البعض بأنها مشكلة وآخرون بأنها حالة طبيعية وصحية، وهي متمثلة بصدور كم كبير من الأعمال الروائية والشعرية والأدبية كل سنة، بحيث يصبح معها الكم سمة طاغية على حساب النوع، على أساس أن دور النقاد يأتي في سياق إظهار النوع وتصديره واستخراجه من بين هذا الكم.

لا يقوم الأمر بتصنيف جدلية العلاقة بين النقد والإبداع، لأنه ليس بتلك الحيرة التي يحاول البعض إلصاقها بها، كما أنه ليس بحثا خائبا عن تجنيس للملائكة بين الذكورة والأنوثة، أو تلك السذاجة الباحثة عن الأصل بين البيضة والدجاجة ومن منهما أسبق على الأخرى، لأن للنقد عالمه وللإبداع بدوره عالمه المحاذي الثري، وبالعلاقة بينهما تكتمل العوالم وتخلق عوالم مبتكرة جديدة، تستقي من العالمين لصالح عالم آخر رديف يثري لوحة الأعمال الإنسانية التي تكتسي طابعها المميز من خلال استلهام العوالم وابتكار عوالم جديدة منتمية إليها، وتبلور لنفسها كينونتها وخصوصيتها كذلك.

لكل حقل فكري وأدبي وإبداعي ميدانه المتفرد، وهندسة العوالم لا تعني إلغاء الآخرين أو الحط من شأن ما يقومون به، وإن كان غير متقاطع مع رغبات هذه الجهة أو تلك، والأمر يتعدى ذلك إلى ضرورة فهم أعمق للعلاقات في الواقع بعيدا عن منطق التحيز أو تبادل الاتهامات، ويبقى لكل ميدان أبطاله الذين يكونون أوفياء له، ومقدرين لجهود الآخرين في حقولهم السحرية الثرية بدورهم.

المدن المستقبلية تنقسم إلى ثلاثة أنواع

أبوظبي - الهدف الرئيس من كتاب "مدن مستقبلية: العمارة والمخيلة"، لمؤلفه البريطاني بول دوبراشتيك هو تأصيل وجود هذه المدن المتخيلة في الممارسة المعمارية، موضحا كيف يمكن أن توجد صلات كثيرة بين الاثنين، مبينا كيف أن الصور المستقبلية، بصرف النظر عن الصورة العجائبية التي قد تبدو عليها، هي صور عن اللحظة الراهنة حقا؛ وهي طريقة لتغيير التفكير السائد، والممارسة السائدة، لكي تطلق في مسار، أو مسارات مختلفة.

ينظم الكتاب تمثيلات المدن المستقبلية في ثلاثة حقول موضوعاتية مختلفة؛ المدن غير المستقرة، وهي المغمورة بالماء، والعائمة فوق سطح الماء، والطافية في الهواء. ثانيا المدن العمودية مثل ناطحات السحاب، والمدن المشيدة تحت سطح الأرض، وثالثا المدن المدمرة كالأطلال والمواد المهملة المستنقذة.

وتقدم كل واحدة من هذه المدن طائفة من الأمثلة التي تمت بصلة إلى المعضلات الحقيقية التي تواجه المعماريين والمتخصصين في تخطيط المدن في الوقت الراهن.

ويسعى الكتاب، في صميمه، إلى الكشف عن الطرائق الجوهرية التي تؤثر فيها المخيلة على الكيفية التي نفكر بها عبر العوالم المستقبلية المدينية، وعلى الكيفية التي ترتبط بها هذه الطرائق والكيفية التي يمكن لها أن ترتبط من خلالها، مع الكيفية التي تصمم بها المدن ويعاش فيها اليوم.

وهذا يعني العمل على أن يعود المتخيل إلى الاتصال بما هو واقعي؛ أو بالأحرى، العمل على إظهار مدى تجسد المتخيل في الواقعي.

ويخلص المؤلف، في بحثه، إلى أن الحياة، في المدن المتسقبلية، لن تكون أكثر ثراء وغنى، إلا بربط المزيد من الأشياء في هذه المدن، بعضها مع بعض. فلا وجود لمدينة متخيلة دون وجود مدينة حقيقية؛ إنهما مترابطتان بالفعل، فما يمكن تخيله موجود فعليا في الحقيقة، سواء في الماضي أو الحاضر. ولكن هذا الترابط، من حيث الفرضية، هو ترابط بين عالمين متصارعين، إذ ينظر إلى المخيلة على أنها ضد الواقعي أو مشتملة عليه؛ إنها جدلية المثالية القديمة ضد البراغماتية. بيد أننا نستطيع، على الدوام، إقامة صلات بين هذين العالمين، حين نرغب في ذلك.

> الكتاب يكشف الطرائق الجوهرية التي تؤثر بها المخيلة على الكيفية التي نفكر بها عبر العوالم المستقبلية المدينية

ونذكر أن ترجمة كتاب "مدن مستقبلية: العمارة والمخيلة"، للبريطاني بول دوبراشتيك، صدرت عن مشروع "كلمة" للترجمة في دائرة الثقافة والسياحة - أبوظبي، وقد نقله إلى اللغة العربية تحسين الخطيب، وراجعها الدكتور أحمد خريس.

ونشر الكتاب في أصله الإنجليزي، عن دار "ريأكشن" البريطانية في شهر فبراير سنة 2019. ويسعى إلى استقصاء الكيفية التي يتداخل فيها الواقعي والمتخيل، لاسيما في العصر الرقْمي.

مسرحيون سعوديون: هناك تحديات لكن كلنا أمل

الرياض – نظمت هيئة المسرح والفنون الأدائية السعودية لقاءها الافتراضي الثاني أخيرا مع المسرحيين الشباب بعنوان "أصوات مسرحية جديدة"، واستضافت فيه الممثل والكاتب المسرحي عبدالعزيز جرب، والسينوغرافي والمخرج محمد جميل، والممثل والكاتب المسرحي ثامر الحربي، فيما أدارت اللقاء -الذي أقيم أخيرا عبر قناة وزارة الثقافة على منصة يوتيوب- الكاتبة المسرحية إشراق الروقي.

وتناول المشاركون دور هيئة المسرح والفنون الأدائية، ومبادرة فرقة المسرح الوطني في خلق بيئة جاذبة من شأنها صناعة فرص حقيقية لاحتراف المواهب المسرحية السعودية، وتصديرها للسوق المحلي، إضافة إلى جانب تدريب العاملين في مجال المسرح على الأمور الفنية والإدارية، وضرورة إيجاد سبل للشراكة التعاونية بين هيئة المسرح والفنون الأدائية والمؤسسات الحكومية والخاصة لاستثمار الموظفين الموهوبين، وتسهيل الإجراءات الخاصة بتفريغهم ليتمكنوا من الإسهام في الإنتاج الثقافي والفني والمسرحي في المملكة.

وتحدث في بداية اللقاء عبدالعزيز جرب عن الإيجابية والتفاؤل التي يعيشها المسرحيون في السعودية بعد سنوات طويلة من التهميش للنشاط المسرحي، مشيرا إلى أن أغلب الفنانين بدأوا يلمسون بشكل واضح التغيرات الإيجابية بعد أن أصبح لأحلامهم ملجأ، ولواقعهم المسرحي مؤسسة رسمية تسهم في المضي به قدما، وهو ما جعل طموح الشباب يزداد رغبة في الإسهام في خدمة عمل هيئة المسرح والفنون الأدائية لإثراء الحركة المسرحية التي تعد امتدادا لحركة قادها لسنوات طويلة رواد ضحوا بالغالي والنفيس لدفع الحركة المسرحية رغم التحديات والصعوبات التي واجهتهم في العقود الماضية.

وقال جرب "هناك تحديات كثيرة تواجه العمل المسرحي، منها ضعف سوق الإنتاج المحلي، واقتصار ظهور المواهب في المهرجانات المسرحية فقط، إضافة لانحسار الأعمال الفنية في بعض المدن الكبرى وغيابها في الكثير من مناطق المملكة، كما أن قلة أو انعدام الوظائف المتخصصة في المجال المسرحي تعد من أهم التحديات التي تواجه العاملين في هذا المجال، فيما هناك فرق شاسع بين ما يقدم على خشبة المسرح والجمهور، إضافة إلى ذلك غياب الاهتمام بتصدير الموهبة المسرحية"، متمنيا بأن تسهم هيئة المسرح والفنون الأدائية في معالجة هذه السلبيات.

فيما ناقش الفنان ثامر الحربي جانب تدريب المبدعين المسرحيين على العمل الإداري لصناعة قادة يستطيعون دفع عجلة العمل المسرحي للاستمرار دون توقف.

وقال "الفنان بشكل عام مشغول بالجوانب الفنية والإبداعية، وقد لا يجد الوقت الكافي ليعطي الجانب الإداري حقه، لذلك من الضروري التركيز على صناعة قادة من الجيل الشاب وذلك بالاستفادة من خبرات الرواد وأصحاب التجارب الذين يملكون رصيدا كبيرا من السنوات لا يقل عن 25 سنة، وهو ما سيختصر على الشباب المدة في خوض تجارب سبق وخاضها مسرحيون قبلهم".

> المسرحيون تناولوا دور هيئة المسرح والفنون الأدائية ومبادرة فرقة المسرح الوطني في التحفيز على الإبداع

وتحدث الحربي عن جوانب الاستثمار في المجال المسرحي وخطورة دخول رأس المال التجاري دون أن يكون هناك أساس متين لما يطرح من مواضيع على خشبة المسرح، مشيرا إلى أن المستثمر قد يهتم بالربح بأي طريقة دون النظر لقيمة ما يطرح من مواضيع، فيما المنتج ذو الرؤية الفنية قد يستطيع مسك العصا من المنتصف وذلك بإدارة الدفة لتحقيق أرباح للعاملين فيه، وتقديم عرض ذي قيمة يرضي الجمهور والعاملين في العرض المسرحي.

من جهته تطرق الفنان محمد جميل للعقبة التي تواجه أغلب العاملين في المسرح، وهي تتعلق بالتوفيق بين حياتهم الوظيفية -التي تأخذ منهم جل طاقتهم ووقتهم- ومزاولة النشاط المسرحي، ورغم ذلك لا زال المسرحيون يضحون بوقتهم الخاص لمحاولة إنعاش شغفهم الفني.